الاتجاه الديني لدى شعراء الموصل

(القسم الثاني) ١٩٠٠ - ١٩٥٠

ذو النون يونس الاطرقجي (*)

ب- القصيدة النبوية الاصلاحية

واضح من اسم هذه القصيدة انها لا تكتفي بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وانتقاد ما ينفع الواقع ويعالج المشكلات الراهنة من سيرته وصفاته، بل تتعدى ذلك - غالباً - الى مقارنة الحاضر البائس بالماضي المجيد. نافذة جوانب الحاضر نقدا متفاوت الحدة، من منطلق اسلامي، وقد اشترك في كتابة هذا اللون من القصائد شعراء خطوا بقسط من الثقافة المعاصرة. والوعي لمشكلات المجتمع سواء أكانوا من ذوي العلم الديني كمحمد حبيب العبيدي (١٨٨٢- ١٩٦٣) ومحمود الملاح (١٨٨٩- ١٩٦٩) وبشير الصقال (١٩٠٧- ١٩٨٦) فمن انغمسوا في متطلبات الحياة السياسية وشغلتهم شؤون الناس ومستجدات الأحداث والأفكار. فانعكس ذلك على شعرهم ومنه القصائد التي نظموها في ذكرى مولد الرسول. او كانوا من ذوي الثقافة الرسمية المدنية ويمكن إيجاز توجهات هذه القصائد في النقاط الآتية:

(*) مدرس في كلية المعلمين / جامعة الموصل.

١. تلتقي مع القصيدة التقليدية في ذكر شيء من مناقب الرسول عليه الصلاة والسلام كلها لا ترتكز مع معجزاته، بل ننتقي من سيرته وصفاته ما يحفز إليهم ويشكل القدوة الصالحة للمسلمين، أو تسلط الضوء على قيادته وعبقريته التي أحدثت التغيير الحضاري الشامل في العالم.

٢. قد تلتقي مع القصيدة التقليدية في الدعوة إلى استلهام القيم التي جاوبها الرسول صلى الله عليه وسلم، واستلهام شخصيات صحابته من اجل تقويم اعوجاج الحاضر، كما قد تلجأ إلى المقارنة بين الماضي والحاضر لإظهار المفارقة بينهما والحث على اتباع الماضي – المثال.

٣. قد ننشغل بالدفاع عن الإسلام وبنيه، ومناقشة أعدائه من مستشرقين وغيرهم.

٤. هي قصائد ذات اهتمامات سياسية واجتماعية إصلاحية تستمد من القيم الإسلامية والسيرة النبوية ما يناسبها وقد يتخذ بعض الشعراء المولد وشخصية النبي (قناعا) يسقط عليه قيما عصرية وفكرا سياسيا جديدا، في – اذن – لا تخلو (بصورة عامة) من الهموم السياسية والاجتماعية والأخلاقية في حالاتها كافة.

يمكننا أن نعد قصائد محمود الملاح في ذكرى المولد النبوي نماذج للقصيدة الإصلاحية (النقدية) إذ كان لا يكتفي برد السيرة النبوية والمناقب وامثولات الصحابة، بل ينتقل إلى الحاضر يقارن بؤسه بالماضي الزاهر، وينقده نقداً شاملا حاداً أو ساخراً، مشخصاً الداء المتجسد في التخلف والبعد عن الإسلام شرعاً وعقيدة وأخلاقاً، واضعاً العلاج بالعودة إلى قيمه المثلى. ولربما زاد الملاح عن الإصلاحيين النقديين مهاجمة الفكر المذهبي الضيق، والخرافة، والشرك، ودعا إلى

التمسك بعرى الوحدة، ونبذ ما في التاريخ الإسلامي من غوايات الفتن ودعاوى التفرقة التي تغذيها الأهواء والمصالح الراهنة ويضخمها خيال الرواة، فضلاً عن إيمانه بتجديد الدين ومواكبة العصر، ومهاجمة الدجالين المشعوذين من المتاجرين بالدين، ويتجسد معظم هذه المعاني في قصيدته " الرسول الأعظم "[1]

عودوا إلى القرآن واعتصموا به ودعوا الحواشي والوجوه الكلّحا

ان الكتاب على تقادم عهده تحكي حقائقه النجوم اللمحا

ستبيد أوربا وينشأ غيرها وكتاب احمد خالد لن يبرحا

....

الجاهلية متعت بمناقب ومحاسن امسين عنا نزّحا

الفى ابن عبدالله فيها معدنا خصبا به بلغ المدى والمطمحا

ان شانهم وأد البنات فاننا نئد الفضائل حيث كانت لوّحا

....

في كل عام مولد لمحمد وسبيلنا كسبيل من عنه نحا

فإذا نظرنا في قاموس القصيدة وجدناها من اقل قصائده وعورة، إذ أن المفردات الغريبة فيها قليلة (إذا قيست بقصائده عامة) وقد نلمح ألفاظا مثل: (القزّح، صمحمح، وحوح، وحى وحى، تمككه، شحا، أرسح، مثيح، الرحرح)، ولعل لطول تنقيب الشاعر في كتب اللغة والتراث وكثرة قراءته وحفظه للشعر

(١) جريدة الزمان البغدادية ٢٩ / أيار ١٩٣٧ وهي في ديوانه المخطوط.

القديم أثرا في ميله إلى الغريب، وقصائده بصورة عامة متينة التركيب، جيدة الحبكة، تحسن فيها بقدرة الشاعر على التعبير بوضوح وإيجاز عن أية فكرة يروم التعبير عنها، ونادرا ما يعجزه التركيب أو تعوزه القافية، وهو اقل من شعراء عصره لجوءاً إلى المرادفات والصفات احتياجا إلى القافية في قصائده الطوال (خاصة)، وأسلوبه يحاول أن يرقى إلى الجيد من أساليب شعراء عصر النهضة اعتناء بالديباجة المتينة النقية ووحدة القصيدة. وربما لم يعد – في نظره – غريبا ما نعده نحن القراء غريبا لإدمانه هذا اللون من المفردات والتراكيب[٢] ، فالقوافي التي بدت قلقة أو مردفة ملصقة في قصيدته السابقة هذه قليلة كقوله: (وتمعنا في امره – وتصفحا -) و(مزقت كفاه سفر النبي موضحا) و (يلقى المنية باسما مستروحَا) أو اللجوء إلى تتابع الصفات لضرورة الوزن والقافية والإتيان بالغريب من اجل الضرورة:

اسكندر ما كان باني أمة بل كان مقداما جريئا مثيحا

واستخدام المترادفات والمتقاربات معنى كان شائعا لدى شعراء عصره ومن سبقهم، يقول في هذه القصيدة (نروم مسليا ومفرحا) و (كتاب احمد خالد لن يبرحا) و(بلغ المدى والمطمحا)، لكن يقابلها عدد وفير من القوافي المحكمات اللواتي لا يمكن الاستغناء عنها أو تبديلها إلا بصعوبة أو بتغيير التركيب كله. والأمر الثالث الذي يستتبع (الوضوح الفكري والتعبيري لديه) هو سيطرة المنطق العقلي على عدد من أبياتها، يزاحم العاطفة أحيانا، لكن مما يخفف من منطقه الصارم صدق التجربة وعمق الإيمان، الذي ينفح الحجاج العقلي فيرطب من

(٢) مجلة الأديب البيروتية مقال " محمود الملاح " الشاعر النزوي، بقلم مير بصري، ص٢١ نوفمبر ١٩٩٢.

جفافه، ومما يضفي على قصائده حرارة وانفعالا، لجوؤه إلى التصوير الساخر، والى الهجوم العنيف على الشواخص السلبية التي يتعرض لها مرة بعد مرة في معظم قصائده، ولعل متانة تركيباته وقوة سبكه من العوامل التي تشغل القارئ عن تحسس طغيان المنطق على عدد من أبيات قصائده. وان كان هذا المنطق كثيرا ما يأتي متشحا بعاطفة مختفية وراء فكر ناضج ناقد، وهو لا يقصد عامدا إلى تحسين بديعي أو تجميل لفظي لكن قصائده لا تخلو من شيء من هذه الزينة أحيانا[٣]

فيا لشمائل كانت شمولا لنا منها غبوق أو صبوح

و : فأطنب في مديحك أو فأوجز فليس ببالغ منه المديح

أو يعتمد الجمل القصار، تامة المعنى، موشحا أسلوبه بضروب (إنشائية) كصيغ الأمر والتعجب والنداء والاستفهام: (وكيف تقول.. علام تثير.. كفانا ذلة) وقد يلجأ إلى التشبيه أحيانا راسما صورا قد تكون مسبوقة لكنه يعمل فيها ميسمه الخاص[٤]

وأصحاب له كانوا جبالا تلقت غيثه منها سفوحُ

تدفق سيلها في كل صوب فكم روض ازاهره تفوح

ولكن السباخ تظل جدبا ولو ظل الحيا فيها يسيح

ولغة محمود الملاح مشبعة بالتأثير القرآني خاصة (احتذاء وتأثرا و اقتباسا)

---

(٣) ديوانه المخطوط

(٤) ديوانه المخطوط

والتراثي عامة، فمن توظيفه المعنى القرآني قوله[٥]

كليم الله قال لأهل مصـــــــر (فألقوا) انني من بعد ملـق

ومن اثر اللغة القرآنية قوله[٦]

(خشبٌ مسندةٌ) تغطي سوسها والسوس تظهره يد النجـــار

وقوله[٧]:

ان الضحايا لن ينال الله مـــن دمها سوى أضحاة شِعب صابر

و " خشب قامت بتسنيد "[٨]، و " ان الكراسي انصاب مهندمة "[٩] و:[١٠]

وبليغ حذر فما من هدهد لبـق يلقي إليه كتاباً من سليمـــان

---

(٥) البلاد ٩ك٢ ٩٣٠: وهي في ديوان المخطوط، سورة طه الآية ٦٦ " قال بل القوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى .. "

(٦) م.ن المنافقون الآية ٤ " وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن تقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشبٌ مسندة يحسبون كل صيحةٍ عليهم .. "

(٧) م. ن سورة الحج الآية ٣٧ " لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم.. "

(٨) م.ن المنافقون الآية السابقة

(٩) م.ن سورة المائدة الآية ٩٠ " يا أيها الذين آمنوا إن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه ... "

(١٠) م.ن النمل الآية ٢٩ " قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم. انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠).

و: " فطرة الله مستقيماً عليها[١١] وغيرها كثير.

وقد يرفد لغته شيء من المصطلحات الفقهية أو الفلسفية (الكلامية) كقوله[١٢]:

(الكون فيه والفساد) تلاحقا ليساهما غير التحول دائلا

(لا عقل اول) مثلما زعم الألى ضلت عقولهم السبيل الواصلا

ومن المصطلح الفقهي[١٣]

وإذا تم بين أمّةٍ (الأجْماع)، تم التوفيق والتأييد

وقد يطول بنا الحديث لو أردنا استقصاء الأثر التراثي في شعر محمود الملاح، وهو لا شك من نتائج دراسته الدينية المبكرة، وتنقيبه الدائم في كتب التراث العربي الإسلامي، وقد يقوم هذا الشعر على مصطلحات عصرية تجاور المصطلح التراثي وتدل على تفاعل مع العصر والحياة، أما محمد حبيب العبيدي، فيكاد ينفرد بمفهوم إسلامي للدولة والخلافة والدين بين شعراء عصره، ولم يتخل عن هذا المفهوم حتى بعد انهيار الدولة العثمانية، وهو في قصيدته النبوية، وفي قصائده الأخرى يحاول رسم تصور إسلامي شامل لا يقتصر على الجانب العبادي دون جوانب الحياة الأخرى، فهو يخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام في

---

(١١) م. ن الروم الآية ٣٠ " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون "

(١٢) م. ن وتنظر قصائده إلى سجين قبرص ـ للتاريخ، إلى طاقور، من وحي الكوخ، عبد القار الحسيني، الشعر يزور السوق، وغيرها.

(شكوى الأمة إلى نبيها) قائلا[١٤]:

قم إلى المجد الذي أسستـه فلقد أوشك أن يلق اندثـارا
وغدا القرآن لا حكم لـه كبنيه يذرف الدمع انكسارا
فتكت حريـة الديـن بنـا كم غوي ترك الدين جهارا
نحن أحرار لدى فعل الخنا ولدى حرية الفكر اسـارى
رب هذا الدين من يرحمـه فلقد ساموه خسفا ودمـارا
قد خسرنا الدين والدنيا معا افنبغي فوق ذا الخسرخسارا
فبـدارا يا بني الديـن إلـى حفظ ديـن الله، بالله بـدارا

وترشح من هذه القصيدة النبوية شكواه المرة من ضياع الديار وسيطرة الاستعمار وتعطيل أحكام القرآن وضعف الإسلام والمسلمين، وهو لا ينـي قصائده كلها يهاجم أعداء الأمة والدين، ويشخص مظاهر ضعفها وأسبابه، مهيبا بها أن تعود إلى إقامة أحكام الشريعة في أمورها لكي تستعيد مجدها، مهاجما الأوثان البشرية التي عبدتها الشعوب من غير الله[١٥].

---

(١٣) م. ن وتنظر قصائده إلى سجين قبرص ـ للتاريخ، إلى طاقور، من وحي الكوخ، عبد القار الحسيني، الشعر يزور السوق، وغيرها.

(١٤) م. ن وتنظر قصائده إلى سجين قبرص ـ للتاريخ، إلى طاقور، من وحي الكوخ، عبد القار الحسيني، الشعر يزور السوق، وغيرها.

(١٥) وتنظر قصائده، النظم الهوجاء، وطن العربي، العرب وعبادة الأوثان، أنا إنسان لا حيوان، العراق وبريطانيا.

وقد عارض شوقي في داليته التي يقول فيها[١٦]:

مضت الخلافة والإمام فهل مضى ما كـان بيـن الله والعبّـاد

فقال العبيدي[١٧]:

إن الخلافة لو فقهنا أمرها حبل اعتصام الجمـع والافراد

نعمت تراث الأنبياء لامـة وسط أقامت صرح خير مبادى

منحت عباد الله من سلطانه ما كان قبل حكومة استعبـاد

....

ان الخلافة وهي داعية الهدى غير الخلائـف هائميـن بـواد

مفرقا بين فكرة الخلافة المثالية الواجبة الإقامة في دار الإسـلام شرعا وبين نوعية (الخلائف) وظروف التطبيق الواقعية، فـهو يقـول[١٨]: " ولا يذهبن الوهم إلى أني من القائلين بنصب إمام للمسلمين في موقفهم هذا في يومهم هذا ولكنـي من القائلين بوجوب الإمامة في الإسلام " وهو في هذه القصيـدة والتـي يشغل معظمـها الحجاج المنطقي الذي لا يطفئ عاطفتها ولا يهبط بأسلوب العبيدي المتين يقدم فهما للإسلام مختلفا عن فهم كثير من معاصريه الذين تأثروا بـالفكر الأوربـي المسيحي بفصل الدين عن الدولة[١٩].

---

(١٦) ذكرى حبيب، المقدمة ص ١٤ ـ ١٥.

(١٧) م.ن / ٥٧ ـ ٥٩.

(١٨) م.ن: ١٥

(١٩) م.ن / ٥٩

يا سالب الإسلام نور بهائـــــه مهلا فان الله بالمرصـــــاد

ارأيت دين الله مقصورا علـــى صـلواته ولشاشة الأعيـــاد

وعلى الشهادة والصيام وموكب الحـج ينشط في عنان الحادي

ارجع إلى القرآن تلق ذخائـــرا للعبقريـة غير ذات نفـــاد

حكما كما تهوى العقول سليمـة تطـوي العصور قشيبة الابراد

وشريعة ما إن ترث حبالـــها تمشـــي مع الأزمان والآبـــاد

مؤكدا صلاحية التشريع الإسلامي لكل زمان ومكان، ويطغى الهم السياسي على شعر العبيدي وهو على عنايته الشديدة بمتانة اللغة وصحة التراكيب، كان يحتفل بالمعنى، لكن الفكر لم يطغ في اكثر قصائده حجاجا ومنطقية على عاطفته المتوقدة، وهو من الشعراء المطبوعين الذين يستمدون من معين من المعرفة الدينية والتاريخية واللغوية، يمكنه من نظم المطولات[٢٠]

دون أن يبدو الوهن على شيء منها. والظاهرة الملفقة في أسلوب العبيدي انه على تشبعه بالقرآن لغة وأسلوبا ومعاني، وبالتراث العربي الإسلامي نثرا وشعرا، فهو من (علماء الدين) إلا أن شيئا من هذا التراث لا يكاد يطفو على سطح أسلوبه منفصلا مستقلا، بل ان هذا التراث ينصهر ويذوب في بوتقة تجربته فيلمح الدرس المتعمق وقد تحول إلى مضامين وإشارات وتلويحات مطبوعة بطابع الشاعر،

---

(٢٠) كقصائده، ألواح الحقائق زهاء ٥٠٠ بيت، وأبو جهل ٢٢٠ بيتا. والعرب الكرام ١٣٨ بيتا، والعراق وبريطانيا ١٥٦ بيتا.

وموسومة باسمه الشخصي، لاسيما في قصائده الناضجة[٢١]. التي تتعاضد فيها اللغة والعاطفة ويخفت فيها صوت المنطق والعقل، " على ان العاطفة الحارة المتدفقة، والأسلوب الجزل الرصين هما الغالبان على شعره. [٢٢]" كما يقول المرحوم احمد الفخري في مقدمة الديوان، والعبيدي بحاجة إلى وقفة أطول مما يحتمل هذا البحث تكون نواتها المقدمة الضافية التي تصدرت الديوان.

ومن شعراء القصيدة النبوية الإصلاحية – النقدية فاضل حامد الصيدلي (١٨٨٢ – ١٩٤٩) وهو في البداية يقدم الاعتذار عن العجز عن وصفه صلى الله عليه وسلم (شأن كثير من الشعراء)[٢٣].

افبعد التنزيل يسمو مديح لذرى قدره وان يستزيـــدا

ثم يشرع في مدحه ذاكرا صفاته وأعماله:

سيد العالمين فضلا وعلما وكمالا ورفعة وخلـــودا

ولا يلبث أن يلتفت إلى الحاضر مهاجما الزائفين عن الدين باسم التجديد تدفعهم الملذات والمطامع[٢٤].

آثروا لذة النفوس وداسوا حرمة الدين والكتاب المجيدا

ثم يستنهض هم المسلمين إلى إعادة مجد النبي والإسلام، والى نجدة فلسطين

---

(٢١) مثل: نفقات، العرب الكرام، أمتي امتي، سنن الكون، العراق وبريطانيا، النظم الهوجاء، محكمة التاريخ وابو جهل وجمعتهم الضراء وغيرها. تنظر مقدمة الديوان.

(٢٢) م. ن / ٦٣.

(٢٣) ولد بالموصل، ودرس بها الابتدائية، ودرس الصيدلة في استانبول، تولى عددا من الوظائف ثم أحال نفسه على التقاعد، له عدا ديوانه هدية الأحرار كتابات – وقصائد كثيرة نشرتها الصحائف الموصلية (من رسالة حفيده د. نبيل نجيب فاضل).

(٢٤) فتى العراق ١٧ أيار ١٩٣٨

وأهلها، ومن ديدنه ربط الحاضر بالماضي، ونقد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في معظم قصائده على وفق مثاله الديني الأعلى الذي يشكله الإسلام وقيمه، وفاضل الصيدلي شاعر سياسي اجتماعي حاد العاطفة، شديد النقد للأوضاع السائدة الفاسدة، غزير النظم (لا سيما في سنواته الأخيرة) ولعل هذه الغزارة والعفوية التي تجعله يطلق شعره دون صقل أو إعادة نظر في إنسياق عاطفي يرسل القصيدة الناقدة اللاهبة دون تهذيب أو تنميق إلا ما جاء عفو الخاطر من لمسات فنية بديعية أو مجازية، وما جاء في معرض النقد الساخر من صور كاريكاتيرية ساخرة، أقول لعل هذه بعض أسباب (تعدد) مستويات شعره، ولربما كان التراجح بين الرصانة الأسلوبية (تأثرا بشعراء النهضة الكبار) والعفوية التي قد توقعه في النثرية والتقريرية والنظم الهابط، بسبب من طبيعة ثقافته المزدوجة والتي استقت من التعليم الديني قسطا ومن التعليم المدني (الصيدلة) قسطا وهو إن لم يبلغ أحيانا مبلغ بعض شعراء النهضة صياغة فان عاطفته الدينية قد تركت في شعره أثرا قرآنيا واضحا " اقتباساً واحتذاء وتوظيفا لمفردات قرآنية " مما لا تكاد تخلو منه قصيدة من قصائده بحيث يشكل هذا أحد ملامحه الأسلوبية الواضحة[٢٥]:

إذا الحليفـــــة مانـــت بحلفـــها وارجحنـــتْ

....

إذا الصـــوارم سلـــــت إذا الاسنـــــة هـــزت

فاقرأ على عرش جورج إذ ذاك ســـورة (تبت) .

و[٢٦]: (فالموريات) قدحـــــت (قدحا) فأورت ما حضر

---

(٢٥) فتى العراق ٢٤ أيار ١٩٤١ وتوظيفه أسلوب سورة (التكوير) واضح.

(٢٦) فتى العراق ١٣ تشرين أول ١٩٤٧ وواضح اقتفاؤه سورة (النازعات) الفاظا وأسلوبا.

(والنازعات) انفسا (غرقا) وصعقا برّ بحر

و[٢٧]: من يرد قسمة الحياة وأخرى (وسعى سعيها) بجد ثبات

ربكم قال (نؤته) فهلموا اجمعوا أمركم مع العزمات

و:[٢٨] نعي عليهم بذل (أينما ثقفوا) كما هو النعي في القرآن والكتب

(إلا بحبل من الله) المهيمن أو (حبل من الناس حتى آخر الحقب)

وغير بعيد عن هذا التوجه الإصلاحي النقدي، عبد العزيز الجادرجي، فقصائده (النبوية) تتفق مع قصائد فاضل الصيدلي في المضامين (في ربط الماضي بالحاضر والدعوة إلى الإصلاح الديني والدنيوي، وبالنبرة النقدية الحادة) كما يمتاز بتطور وعيه القومي والدعوة إلى الوحدة العربية على وفق القيم الإسلامية والعربية داعيا إلى جعل الذكرى حافزا نهضويا[٢٩]

والذكريات وهن كثر خيرها ذكرى تنبه في الشعوب شعورا

ولغة الجادرجي بسيطة واضحة تكاد تخلو من التزويق والمحسنات وتهبط للتقرب من النظم عندما تفارقها نبرته التي لا تخلو منها قصائده الدينية والاجتماعية والسياسية[٣٠].

---

(٢٧) الهدى ١ حزيران ١٩٤٧ وهو يوظف الآية ١٤٥ آل عمران " ومن يرد ثوب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين " والآية ١٩ من سورة الإسراء " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ... "

(٢٨) فتى العراق ٢ حزيران ١٩٤٧. والآية ١١٢ من سورة آل عمران " ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله ... "

(٢٩) جريدة البلاغ الموصلية ٢ حزيران ١٩٣٥.

(٣٠) جريدة العمال ٩ كانون الثاني ١٩٣٢.

قم يا ابن عبدالله جدد دعوة فالظلم عـاد وأسبل الاذيـالا

....

والآمرون بغفلة من غيهم والديـن فهـم حزنـه يتوالـى

وهو غير بعيد عن هذه المضامين في قصائده الأخرى كقوله[٣١]:

تنكبت عن طريق الحق وابتدعت من الضلالة سبلا سهلها وعر

واستسخرت بأمور الشرع واتبعت أهواءها فدهاها الويل والخطر

وقصيدة المولد لديه مسلسل يتضمن الفرحة بالمولد، فنبذة عن سيرته وانتصاره صلى الله عليه وسلم، فاستنجاد به من اجل بناء ما تهدم، فنقد للأوضاع السائدة وهو في الفقرتين الأخيرتين يلتقي بفاضل الصيدلي، كما في قصيدته" ولد المعظم فخر خيرة هاشم" وينقد علماء الدين في قصيدته " يوم به شمس النبوة أشرقت [٣٢]" ويدعوهم إلى مقاومة الطغاة وينقد جريهم وراء لقمة العيش:

علماؤه ألهاهم حـب الغنى فتغافلوا عمـا عراه وناموا

ورضوا بحكم الآمرين مخافة أن يحرموا الدينار وهو حرام

ولعل سهولة نظمه وانحداره إلى الضعف أحيانا متأت من انه لم يتشبع بالأساليب القديمة ولم يمتلك معرفة تراثية جيدة كعدد من معاصريه، فهو يلتقي من حيث الأسلوب بشاعر من شعراء القصيدة الإصلاحية هو ذو النون الشهاب

---

(٣١) جريدة العمال ٦ تموز ١٩٣٣.

(٣٢) ديوان المخطوط.

(١٩٢٠ ـ ١٩٩٠)[٣٣] ولكنه يختلف عن عبدالعزيز الجادرجي في أن الأخير يمتلك نبرة نقدية جادة لا يمتلكها ذو النون الشهاب. وهما يشكلان حلقة وسطى أو همزة وصل بين الكلاسيكية الجديدة ذات الأسلوب الرصين، وبين الرومانتيكية ذات الاخيلة الموغلة والمشاعر المرهفة الاسيانة والصور الشفافة، والحق انهما كانا ضائعين (فنيا) فلم يستطيعا أن يتمثلا الجيد من الاتجاهين، وهكذا نجد ذا النون الشهاب كزميله الجادرجي يترجح بين المتانة والحركة فلا يستطيع تحقيق رصانة ولا انجاز اخيلة وصور ذات جدوى أما مضامين قصيدته النبوية فذات نزعة إصلاحية إنسانية اقل مجابهة للواقع ، وأخف في نقدها له. فهو يدافع عن الإسلام ضد اتهامات بعض المستشرقين بعد أن يهجو الحرب ودعاتها الطامعين، ثم ينصرف إلى جهد النبي صلى الله عليه وسلم في صياغة (بدو الجزيرة) صياغة جعلتهم أساتذة الدنيا[٣٤]:

لولاه ما فاضت جزيرة يعرب خيرا عميقا بعد طول هجود

فتحوا البلاد وارشدوا أقوامها للخير بعد النصر والتأييد

وهو في قصيدته النبوية الأخرى (موكب الهدى) يذكر مبادئ الدعوى الإسلامية ثم يدعو النبي صلى الله عليه وسلم إلى إزالة الخصومات ونشر السلم[٣٥]:

قم تر الناس في خصام مبير يتولاهم الشجى بكلوم

---

(٣٣) درس في الكتاتيب ثم في المدارس الرسمية، وحين تخرج من الإعدادية سنة ١٩٣٩ بتفوق أرسل إلى مصر ليدرس في جامعة (فؤاد الأول) حتى عام ١٩٤٤، ساهم في النشاط الأدبي في الموصل واصدر مجلة الجزيرة (١٩٤٦ ـ ١٩٤٩) وساهم في الندوة العمرية، في الوقت الذي كان يواصل مهمة التدرب. ديوان مخطوط. وقد نشر عددا من قصائده في الصحافة الموصلية والعراقية.

(٣٤) فتى العراق نيسان ١٩٤١.

(٣٥) صدى الأحرار ٢٠ كانون أول ١٩٥٠.

مذ تولوا من شرعة لك غراء وجادوا عن الطريق القويم

وقد يستنجد بالرسول الكريم وبمبادئه لإنقاذ فلسطين الجريحة[٣٦].

وقد نجد هذا اللون من القصائد يركز على معاني العظمة والخلود في تطابق أو تكامل بين الإسلام والعروبة، على عادة هذا الجيل من الشعراء في عدم التفريق بينهما.

ولعل قصيدة بشير الصقال (١٩٠٧ – ١٩٨٦) النبوية من هذا النوع فهو قد يلجأ بعد المقدمات الشبيهة بمقدمات القصيدة التقليدية، إلى عتاب الأيام التي فرطت بحق هذه الأمة في هذا العصر، في نبرة مرة داعية إلى النهوض[٣٧].

ما الذي تنقم العصور علينا وهي فتاكة بكل مصان

أو يخالف المألوف في قصيدة المولد فيستخلص بعد المطلع، حكمة الصراع بين الخير والشر، ويعرج على الأوضاع في (الشرق) ناقدا سياستها وأوضاعها الاجتماعية بعنف ثم يذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الفضيلة وانتصاره، ويختمها بالتساؤل عن السبب في زوال تلك الأمجاد في حاضر الأمة[٣٨].

انبئوني ما داؤها فدوائي هو علمي ما داؤها والدواء

وبشير الصقال شاعر مقل، ذو عبارة وجيزة متينة، وصيغ خطابية بحكم ألفته الخطابة المنبرية الدينية.

---

(٣٦) الرقيب ٧ أيار ١٩٣٩.

(٣٧) جريدة المعارف ٢٤ تموز ١٩٣٢.

(٣٨) صدى الجمهور، ٤ آب ١٩٣١.

ولعل بشير مصطفى (١٩١٧- ١٩٧٩)[٣٩] أكثرهم حدة في نقده للأوضاع الحاضرة، وفي انتقائه من مناقب النبي عليه الصلاة والسلام ومبادئه ما يبرز المفارقة الواضحة بين العدل والخير في الماضي والظلم والشر والاستغلال في الحاضر، ولعله في انتقائه لصفات النبي صلى الله عليه وسلم يصنع القناع، الذي يسقط عليه مبادئه وأفكاره العصرية[٤٠]:

بين يتم وبين فقر تربى فاليتامى بنوه والفقراء

ليس في منطق الطبيعة جور انما منطق الحياة الاخاء

وهو يمتدح فقره وحكمته وثورته على الظلم والاستغلال، ويلبسه ثوب الثائر المعاصر[٤١]:

زمر تقطف الثمار وأخرى حظها الكوخ والضنى والهجير

فأبى أن يقوم في الأرض حكم كل ما فيه ذلة وثبور

ليس في شرعة الإله فروق سيد حائر وعبد أجير

إنما الناس اخوة وعيال انفع الناس بالحقوق جدير

ثم يسقط همومه الفردية والجمعية وهموم العصر عليه، منددا بالحروب وموقديها، مبشرا بزوال الطغيان في نزعة تفاؤل (مثالية). وكان يمكن أن يتطور هذا الشاعر ويكون بلغته المتماسكة الصافية من مجددي (الكلاسيكية الجديدة) لكنه

---

(٣٩) أديب، شاعر، صحفي، ولد بالموصل، وعمل في حقل التعليم الابتدائي، التزم بالخط الشيوعي واصدر بالموصل جريدة " الشبيبة " سجن في الستينات، له أبحاث لغوية ضمنها في كتاب " خمسون سؤالا وحلولها " وترجم كتابا في الاقتصاد السياسي من تأليف بيج ارنوت، وله ديوان شعر مخطوط، توفي ببغداد. ـ ينظر: بسام إدريس الجلبي: " أعلام الموصل " المخطوط.

(٤٠) ديوان المخطوط

(٤١) ديوان المخطوط.

وقع في اسر الأفق الضيق لايديولوجيته، وظل معظم شعره يدور في هذه المعاني المحدودة وأشباهها.

ج-القيم الدينية في القصائد الأخرى

قبل الدخول إلى عالم القيم الدينية المتنوعة التي قد تشتمل عليها القصائد ذات العنوانات غير الدينية كالقصائد السياسية أو الاجتماعية أو التي تتناول موضوعا أخلاقيا، أو تأمليا ... الخ، لابد من الإشارة إلى أن الشعر الديني يغلب على كثير منه طابع المناسبات، فقد استغل الشعراء عدداً من المناسبات الإسلامية لكي يعبروا عن مشاعرهم الدينية فيها كمناسبة الحج. يعبرون فيها عن شوقهم لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم ومكة المكرمة مهنئين من أدى الفريضة كما عبد المجيد شوقي في قصيدته (تحية الحجاج)[٤٢].

عاد الحجيج فمرحبا بالمقدم فازوا بخلعة ربهم وبمغنم

جاءوا كما ولدتهم أماتهم طهراً فلا من شقوة أو مأثم

وسنرى ان ظاهرة شعر المناسبات الدينية المختلفة ستتسع كمناسبة العام الهجري، بل ان عددا من الشعراء قد وسعوا دائرة موضوعاتهم الدينية بعد منتصف القرن فنظم محمد علي العدواني قصيدة على لسان " أمهات المدن الإسلامية [٤٣]" و " حديث المنارة الحدباء[٤٤]" و " المسجد[٤٥]" ودعا إلى الشريعة في

---

(٤٢) فتى العراق ١٣ كانون الأول ١٩٤٦.

(٤٣) فتى العرب ١٦ أيلول ١٩٦٥.

(٤٤) فتى العرب ٢٦ آب ١٩٦٥.

(٤٥) فتى العراق ١٨ أيلول ١٩٦١.

قصيدة عنوانها " النور في الشريعة [٤٦]".

بل أن شاعرين عميقي التدين كفاضل الصيدلي وعبد المجيد شوقي البكري لا ينتظران المناسبة للتعبير عن فكرهما الديني ومشاعرهما الإسلامية في العديد من القصائد سواء أحملت عنوانا دينيا أم لا، إذ يقرأ فاضل الصيدلي قصيدة الصافي النجفي "الله " فتهزه وتبعثه إلى نظم قصيدة تعارضها يعبر فيها عن فلسفة التوحيد مفندا رأي القائلين بالطبيعة[٤٧]:

لقد وجدت الكل في واحـــد فاهنأ وناهيك بـــه الله

وجدت نور الكل في مفـــرد ملء النهى والكون لألاه

وجدت (موجودا) وما دونه ظل لـه والله معـــزاه

لم يخلق الله لعقل قـــوى تستطيع تحليقا لعلـــياه

طبيعة قالوا وما فكـــروا تدبيرهـا من أين منشـــاه

ويهاجم المارقين من الدين[٤٨]:

أحدثوا الكفر وبئس الحـدث نَبْذ أديان بها ما اكترثـــوا

زعموا الدين قذى أخـرهم ونسوا العكس الذي قد أحدثوا

إنما أخرهم تفريطـــهم فيـــه والجهل به والعبث

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا القيم الدينية المنبعثة في قصائده المختلفة، فقد اشتملت قصائده ذات التوجه الاجتماعي والسياسي والأخلاقي على الدعوة إلى التمسك بالقيم الإسلامية، وبعدالة الإسلام وأخلاقه، وتضمنت الإغراء بالثواب

---

(٤٦) فتى العراق ٣ تموز ١٩٦١.

(٤٧) فتى العراق ١٤ تموز ١٩٤٧.

(٤٨) فتى العراق ٧ / ٨ / ١٩٤٧.

والتهديد بالعقاب الإلهي، والحض على مساعدة الفقراء، أو النهي عن سلوك خاطئ كالاحتكار فيضرب فاضل الصيدلي مثل (قارون) القرآني للمحتكرين[٤٩]:

يا أيها العفريت حسبك ثروة قارون اكبر ثروة لو تعقل

أو يعلن ان الإسلام هو الوسيلة الناجعة للإصلاح الأخلاقي والاجتماعي[٥٠].

غير أنا نطيق عوداً لبدء أي إلى الدين كي نطيق لحاقا

أو يهاجم التميع والانحلال[٥١] أو يدعو إلى العدل واخذ الزكاة[٥٢] ويهدد المحتكرين بعذاب الله. (في اكثر من قصيدة) مفرقا بين التدين الحقيقي والتظاهر بالتدين[٥٣] كما وجدنا التأمل في الموت والحياة والبعث والحساب في الرثاء عامة، وفي رثاء العلماء خاصة كرثاء فاضل الصيدلي وعبدالمجيد شوقي البكري لمحمد الدبوني[٥٤] ورثاء محمود الملاح لشيخه عبدالله النعمة، إذ يفصح في قصيدته " دمعة الوفاء على فقيد الحدباء " وفي قصائد أخرى عن نزعة سلفية تتخذ التوحيد عقيدة وتهاجم البدع والخرافات و(غباء) مقلدي أهل الأهواء من السذج الذين يحركهم أولئك ضد المصلحين الذين يدعون إلى الدين النقيّ من الاوشاب التي داخلته عبر القرون، ثم يدعو إلى وحدة المسلمين[٥٥].

---

(٤٩) فتى العراق ٥ حزيران ١٩٤٦.

(٥٠) فتى العراق ٩ حزيران ١٩٤٧.

(٥١) فتى العراق ٢٦ حزيران، و١٧ تموز و١٢ حزيران و٧ تموز ١٩٤٧ والهدى ٢٨ ايار و ١حزيران و٢٩ حزيران ١٩٤٧.

(٥٢) فتى العراق ١٩ حزيران ١٩٤٧.

(٥٣) م.ن.

(٥٤) فتى العراق ٩ ايلول ١٩٤٦.

(٥٥) جريدة السجل ١ تشرين الأول ١٩٥٠ وهي في ديوانه المخطوط.

إذ قام (عبدالله) يدعو للهدى والناس تخبط في دجى عشواء

....

وسلاحـــه آي الكتاب وسنـــــة جاءت عن المختار فيمـا جاء

عقــدوا له ديوان تفتيش ولـــو عقلوا إذاً عقدوا عليه لـــــواء

ما كان للرحمن في الملأين من شرك يداخلـه ولا ظـــــهراء

كلا ولا جــزء يحل بواحـــــد من خلقه إذ لم يكن اجـــزاء

....

لو لم تسد عصبية ممقوتـــــة كنا على الدين الحنيف سواء

ويدعو إلى تيسير الدين ومواكبة العصر، ويدعو المؤتمرين في القدس عام ١٩٣١ إلى استلهام روح صلاح الدين الجهاديـة، ويهاجم ـ كديدنـه ـ دعـاة التدين الكاذب، المتاجرين بالشعارات من المنافقين(٥٦):

إن أمراضـــنا المختفيـــــات في دعـــــاو مستورة بالتدين

....

فاحذروا في التدبير كل مراء ومـــــلاج مصنـــع متزين

يستغل الأديان ما دام في الدين لـــــه نفع فهو بالديـن مؤمن

....

كل دين بغير علم وعقـــــل هو دين من جوعه غير مسمن

جددوه بحسب مقتضيات العصر فالعصر خُلْقُه غير ممكـــن

---

(٥٦) ديوان المخطوط.

وهو في هذه القصيدة وأمثالها مصلح يعتمد المنطق العقلي، فتخفت العاطفة ويقترب الشعر في أمثال هذه المقاطع من النظم، وهو في تأملاته الفكرية والفلسفية يقترب من هذا النظم العقلي فلا يبقى من طلاوة الشعر غير السبك الجيد واللغة المتماسكة، وكثيرا ما تأمل الملاح في الكون والحياة والإنسان فرأى الخلق أطوارا تتشكل مرة بعد مرة بتدبير الحكيم العليم(٥٧).

لو كان حي من الاحيا مصادفة وما هناك خلا ريحا وإعصارا
فما لها قهرته بعد قوته ونال في ضعفه سمعا وابصارا
أراد ربك من عاص وطائعه ان يظهروا وبعض سر الكون إظهارا
....
تبارك الله من خسر يلم به وأين يذهب من يبغيه إخسارا؟
يغني من الخلق قسطا ثم يسبكه أخرى فيصبح ما أفناه قد حارا
ان الانام الذرات الورى صيغ يصوغها حيوانا ثم أشجارا

ويربط عقيدة التوحيد بأمور الحياة كلها ومنها السياسة(٥٨):

انما شكوى بلاد وحدت ربُّها أن يتعالى ضمُّ
....
كيف يرضى الانصاف أن يعبد الأصنام شعب مسلمُ؟

ويتقاطع مع (القدماء) القائلين (بالعقل الأول) مؤمنا بالمدبر الواحد(٥٩).

ماثم الا حكم عقل واحد جمع الشتات فلا يرى متخاذلا

---

(٥٧) ديوان المخطوط.
(٥٨) ديوان المخطوط.
(٥٩) ديوان المخطوط.

ويؤمن بالقدر (فوق قدرة العقول على الفهم)[٦٠]:

لا تركنن إلى الفرار فربما صادفت عند فرارك الأقدارا

وهناك بحر ليس يدرك قعره وهناك أمر حير الأفكار

ولا تكاد قصيدة من قصائده السياسية أو الاجتماعية تخلو من قيمة من قيم الإسلام. كالدعوة إلى الجهاد أو الوحدة، أو العدل والإنصاف، أو الخلق القويم[٦١]. ويقترب من فاضل الصيدلي في الشأن السياسي والاجتماعي إذ يستنجد كذلك بمثل الإسلام وامثولات رجاله (كما مر بنا). وقد نلتقي بقيم الإحسان والحث على الصدقات ومساعدة الفقراء لدى كل من إسماعيل حقي فرج، ونعمة الله النعمة، وعبدالعزيز الجادرجي، إذ يعددون المزايا الدينية (الآخروية والدنيوية) للعطاء فهو نجدة وشجاعة وشهامة وفخار بين الناس، وهو أجر وجنان الرحمن يوم القيامة، يقول إسماعيل حقي فرج[٦٢]:

ان يوم الفقير اعظم يوم له ما بعده بفخر مشوب

....

أين من يقرضون البرايا أحسن القرض في الزمان العصيب

أين من ينفقون سرا وجهراً يبتغون الثواب عند الرقيب

ويمتدح نعمة الله النعمة المحسنين المتصدقين، مذكرا بثواب الرحمن[٦٣]:

---

(٦٠) ديوان المخطوط.

(٦١) ديوانه المخطوط، وتنظر قصائده: (الرسول الأعظم، حول المؤتمر الإسلامي، السيد الأعظم، شهيد فلسطين، الأشهر الحرم، لجدام هزل، غضبة شاعر، عيد الأضاحي، الدرويش، عبدالوهاب عزام وغيرها.

(٦٢) جريدة نصير الحق ٣ شباط ١٩٤٢ والقصيدة في ديوانه المخطوط.

(٦٣) فتى العراق ١٩ حزيران ١٩٤٧.

فجودوا عليهم من عطايا إلهكم ليسلوا ولا يأسوا على فقد غائب
فقد وعد المولى زيادة فضله لمن قام في شكرانه بالوجائب

ويكرر الشعراء أمثال هذه المعاني، وقد يذكر بعضهم المعنى القرآني في ان للفقراء حقا معلوما في أموال الأغنياء، ويقول عبدالعزيز الجادرجي(٦٤):

يا أغنياء الشعب في أموالكم حق لمفتقر دهاه شقاء
....
وأولو الهدى والبر في الدنيا لهم فخر وفي الأخرى هم السعداء

وتتجلى النزعة الدينية الناقدة، في الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية، كتربية الأولاد، والسفور، والموقف من الحضارة الغربية. إذ أن نظرات الشعراء في كل هذه الموضوعات تستند إلى مفاهيمهم الدينية، يقول فاضل الصيدلي(٦٥):

وما المرء إلا بالفضائل والهدى وقلب له بالصالحات تعلقُ

ويدعو الآباء إلى تربية الأولاد تربية إسلامية(٦٦):

يقول اله الخلق (قوا..) هل وقيتمو نفوسكم والأهل نارا بها الهول
ولكن عصيتم ربكم بإطاعة لأهل وأولاد ألا بئسما الفعلُ

ويحمل الخصم الغربي مسؤولية التحلل الخلقي(٦٧):

حرام نطيع الخصم في كيده لنا ونعصي إلها في الذي نص اصدق
فهذا يجر الخاضعين لهوة ليصفو له جو المنى فيحلق

---

(٦٤) فتى العراق ٣ كانون الأول ١٩٤٢.
(٦٥) فتى العراق ١٧ تموز ١٩٤٧.
(٦٦) الهدى ٢٩ حزيران ١٩٤٧.
(٦٧) فتى العراق ٧ تموز ١٩٤٧.

كفانا وما صرنا إليه من الشـــقا باغوائه والويل من فوق مطبـــق

ويصرح بـان الديـن هـو أسـاس الأخـلاق الحميدة، وان الإسـلام جـاء متممـا لمكارم الأخلاق(٦٨):

هو الدين للأخلاق جاء متمما وليـــس بأبدان تقوم وتقعـــــد

ولو كان في هذا الزمان تدين لما كان هذا الشر في الناس يشهد

....

وهل ضابط الأخلاق إلا تدين يحف بها من كل صوب ويسنـــد

وينفذ عبدالمجيد شـوقي البكـري إلـى نقد السـفور عبر حكايـة يسـوقها فـي ارجوزة، مدافعـا عـن الحجـاب من منطلـق أخلاقـي دينـي، وفـي ختـام القصيـدة يذكر المرأة بالمصير والحساب(٦٩):

إن ذوات الخدر فـي نجـاة من ضحكة أو غمزة الأشـــرار

....

يـا أخت واذكري دنو الوقت وســـاعة النـــزع والاحتضـــار

ثم حســـابا عادلا ســـديدا أمـــام رب ناقـــد مغيـــــار

ويكاد محمد حبيب العبيدي يشكل ظاهرة خاصـة بيـن الشـعراء، فـهو (علـى انغماره في قضايا السياسة) لا يكاد ينظم قصيدة. إلا وكـان لإيمانـه الدينـي نصيـب فيها سواء أكانت قصيدة سياسية أم تأمليه أم اجتماعية وأخلاقية، ولو أردنا تتبع القيم الإسلامية في أشعاره لطال بنا الحديث و سيكتفي البحث بعدد من الأمثلة. فهو يعبر

---

(٦٨) فتى العراق ١٢ حزيران ١٩٤٧.

(٦٩) فتى العراق ٧ تشرين أول ١٩٤٦.

عن إيمانه العميق بالله في قصائده ومقطوعاته التأملية(٧٠):

هداك الله هل عاينت غصنا يميس ولم يحركه هـواء؟
لهذي المبدعات بديع صنع ولولاه لمـا قـام البنـاء
اله في الخفاء له ظـهور وعين ظهوره ذاك الخفاء

ويعبر عن إيمانه بالبعث والمعاد بقوله(٧١):

اعجيب أن يرجع الميت حيا رب ضد من ضده مستفاد
مـر دهـر عليـه لم يك شيئا افمن بعد كونه لا يعاد؟

وهو في كل مواقفه السياسية ينطلق من منطلق إسلامي، حتى عندما يخطئ في تقدير الموقف، وتلتبس عليه الأمور وتختلط الأوراق، كما حدث عندما أيد الاتحاديين (وقد أيدهم كل النهضويين العرب في البداية) وهاجم عبدالحميد(٧٢):

صاح لو تحفظ الشريعة يوما حفظتك الشريعة الغـراء

ويسوغ خطأه في قصيدته " يعاقبني قومي " قائلا(٧٣):

يعاقبني قومـي كأنـي مجـرم ومالـي ذنب غير أني مسـلم
سمعت سيوف الحق تخطب في الوغى وسمر العوالي بالهدى تتكلم
فلبيت صـوت الله إذ هتفـوا بـه ولست بمن تمن صيحة الحق يحجم
دعوهـا جهـادا والجهـاد فريضة وقـد هـب ايقاظ إليـها ونوّمُ
....

---

(٧٠) ذكرى حبيب / ١٨ وتنظر ص ٢٠- ٢١ وغيرها.
(٧١) م.ن / ٦٢
(٧٢) م.ن / ١٣.
(٧٣) م.ن السابق / ١٥٨

ويعلن إيمانه الإسلامي المتكامل مع انتمائه العربي (في اكثر من قصيدة)(٧٤)

إذا أنا لم اغضب لديني غيـرة فلا رضيت عني شموس وانجم

وان انا لم اغضب لقومي حمية فلا هاشـم منـي ولا انـا منهمُ

وتبرز هذه العاطفة القومية المرتكزة على العقيدة الإسلامية في الملمات فهو يعبر عنها مفتخرا بقومه العرب في طرابلس الغرب حين غزتهم إيطاليا في قصيدته " حياة حوّل ثم ماذا ؟ " إبان حكم الدولة العثمانية(٧٥).

وحدث عن مصاليت كماة حموها بالسيوف المصلقات

كذلك آ يعرب من قديـم سيوف الله عنـد الحادثات

بل انه ليفصح عن إيمانه الإسلامي وتمجده بالعصور التي طبقت الشريعة، مطالبا الحكام العرب بتطبيقها إعادة لذلك الماضي المجيد، وهو يعبر عن هذا الإيمان حتى في القصائد التي يمدح فيها الملوك(٧٦).

يا امـة زيـن التاريخ غابرهـا أزمان قادت بحبل الدين دنياها

من للدياجي بنجم يستضـاء بـه يهدي السبيل لاولاها وأخراها

من يجمع الدين والدنيا يصب رشدا من سـنة لنبي الله أداهـا

ويمجد (وهو يمدح فيصل الأول) الشريعة الإسلامية السمحة التي تناسب كل زمان، مشيدا بالفتوحات وبعدالة الفاتحين والحضارات التي بنوها(٧٧).

---

(٧٤) م.ن

(٧٥) م. ن / ٣٤

(٧٦) م. ن / ٢٠٤.

(٧٧) م. ن / ٨٦، ٨٧.

سلام على عهد الرسالة والتقى وقد جاء بالدين المبين بشيرها
ابت حكمة التشريع إلا تطورا يناسبه من كل مصر مصيرها
(لكل جعلنا شرعة) خير شاهد على ان مقياس الشعوب دهورها
شرائع كانت للانام أهلة وقد كملت بالهاشمي بدورها
فجاء بها سمحاء خير شريعة على عوج في الكون ليس يضرها

ويطول بنا الحديث لو تتبعنا المواقف الإسلامية والقيم الدينية في قصائده كلها وأناشيده ، فهو يعبر عن كرهه العميق للمستعمرين من منطلق إسلامي[٧٨].

ويغضب لحرمة الدين فيخاطب الملك خطابا جريئا منتقدا وزيرا أباح شرب الخمر في رمضان[٧٩] وحين يدعو الخليفة أو ملك انما يمتزج الدعاء بدعاء لنصر الإسلام[٨٠]، وينتقد إغلاق المدارس الدينية وإهمالها[٨١] ويحرض المسلمين على النهوض ومجابهة الغرب المعتدي[٨٢] ويذرف دمعة حارة مشوبة بعاطفة إسلامية متقدة تبكي واقع الإسلام والمسلمين وتثير حمية المسلمين وإيمانهم، وتهاجم الغرب وحضارته، وتمجد فقيد الإسلام الشهيد عمر المختار في قصيدته (دمعة على الإسلام)[٨٣] ويهاجم عبادة الأوثان البشرية من منطلق إيماني في اكثر من

---

(٧٨) تنظر قصائده: حياة حول ثم ماذا، وشكوى الإنسانية، والنظم الهوجاء، وصيتي، أبو جهل ودولة الأوثان، صيحة السماء وصدى الضمائر، وغيرها: ذكرى حبيب.

(٧٩) م.ن قصيدة: (أبي الضيم)

(٨٠) م.ن قصيدة (الهلال وأبناؤه) وقصده (العرب الكرام بين السيوف والأقلام).

(٨١) م. ن / ١٠١ ـ ١٠٢.

(٨٢) م. ن: القصائد السابقة.

(٨٣) م. ن / ١١٧- ١١٨.

قصيدة[٨٤] ويهاجم الحضارة الغربية، حضارة الفساد الخلقي والكفر، وتمتزج في بعض قصائده قيم الدين والوطن والقومية والأصالة[٨٥] فالمنظار الإسلامي كان على عينيه إن لم يكن في كل قصائده ففي جلها، على انه في القليل من القصائد التي لم تظهر الصيغة الإسلامية واضحة عليها، ليس فيها ما يناقض هذه القيم الدينية التي آمن بها إيمانا راسخا طول حياته.

د . الشعر الديني المسيحي

لابد لاستكمال لوحة الشعر الديني في الموصل من الإشارة إلى عدد من القصائد الدينية المسيحية، نلتقي ببواكيره في جريدة النجاح، وبعدد منها في (اكليل الورد) ثم في مجلتي (النجم) و (المشرق) و (لسان المشرق) فضلاً عن ديوان يوسف أمين قصير الأول (في أعاصير الشباب)، وفي رأيي أن متي اسحق (١٩٢٤-...)[٨٦] ويوسف أمين قصير (١٩٢٠ ...)[٨٧] وبولس بهنام (١٩١٦-

---

(٨٤) م.ن / ١٦٦، ١٨١ ، ١٨٤ ، ٢٣٤ وغيرها.

(٨٥) م.ن / ٦، ٣٩، ٤٩، ١٤٩، ١٥٨ وغيرها.

(٨٦) محام وصحفي، ولد في الموصل (يذكر كوركيس عواد في معجم المؤلفين انه ولد سنة ١٩٢٠) اشتغل بالمحاماة ست سنوات ثم عمل مترجما في ميناء البصرة، أمضى سنة في جامعة ويلز بموجب بعثات الأمم المتحدة للعلاقات الصناعية، اشتغل في حقل الصحافة والنشر ثم التحق بجامعة كولومبيا فحصل على الدكتوراه في تاريخ العلوم والآثار السريانية. وعمل بالتدريس في جامعة بنسلفانيا، ثم في جامعة كانن لمادة تاريخ الشرق الأوسط القديم، له بحوث عديدة في مجلات أمريكية وإنجليزية مثل (حول الرواية الغربية) و (الموازنة في التاريخ) عمل في الصحافة الموصلية في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات (اصدر مجلة الجداول الأدبية ثم جريدة الجداول) ينظر: تاريخ الصحافة الموصلية / ص١١٥.

(٨٧) خريج دار المعلمين العالية، أهم إصداراته ثلاثة دواوين هي (في أعاصير الشباب، وصدى الأعاصير، ورقصات الخريف) ومسرحيات (عامر وأسماء، وكلكامش في العالم السفلي وديموزي) ومن كتبه (الخالديان، والسري الرفاء، والحكاية والإنسان وحكايات فلسفية وسماء بدون نجوم).

١٩٦٩)[٨٨] هم أهم من نظم الشعر الديني المسيحي، أما يوسف قصير فانه يصطدم بالموت فيعبر عن ألمه لموت أبيه وفي الوقت نفسه عن اطمئنانه إلى السعادة[٨٩] العلوية التي سينالها والنعيم الذي سيعوض به شقاء الأرض، وهو متطابق فكراً وعاطفة مع عقيدته الدينية[٩٠].

فانقضى الصبر وهو في هالة الإيمان يرجو رسل النجاة ويرقبْ
وارتقت روحه إلى الله تشدو نغمة الظافر العظيم وتطربْ
وإذا بالسماء تتشق والا لـ حان تتلى وبالجنان ترتب

ويعبر متى اسحق عن الاطمئنان للعدالة الإلهية التي عوضت إنسانا بصيرا بهبة الحب والإبداع والتطلع إلى ما هو خالد.

حنانك اللهم يا خالقي أذهبت مني العين والناظرا
وقد سكبت الحب في خافقي فصغت مني شاعرا ساحرا

واهم عمل شعري لبولس بهنام هو معارضته المطولة لقصيدة ايليا أبي ماضي (الطلاسم) بقصيدة عنوانه (كلمة شك وكلمة إيمان) .وقد حاول في هذه المعارضة المطولة – مناقشة ايليا أبي ماضي حجة بحجة في حلقات خمس سمح لنفسه أن يتجاوز فيها عدد أبيات (الطلاسم) فبدأها بالإعلان عن إيمانه العميق الذي اكتسبه بالعقل والعاطفة، ثم تابع الموضوعات التي طرقها أبو ماضي فقلب

---

(٨٨) ولد في قره قوش، رسم راهبا عام ١٩٣٥ يتقن العربية والسريانية وتعلم الإنكليزية والفرنسية، اصدر مجلة (المشرق) عام ١٩٤٦ ثم لسان المشرق عام ١٩٤٧ وعدة مؤلفات دينية وأدبية منها (ابن العبري الشاعر ، وتحقيقات لغوية في حقل اللغات السامية والفلسفة المشائية، والعلاقات الجوهرية بين اللغتين السريانية والعربية. رسم مطرانا عام ١٩٥٢ / ينظر صوت نينوى وآرام لأسحق ساكا.

(٨٩) في أعاصير الشباب / ٥٣-٥٤.

(٩٠) مجلة المشرق العدد التاسع تشرين أول ١٩٤٦.

معاني الشك إلى ضدها من معاني اليقين[٩١]:

موجة في البحر قالت انني يا ربُّ منكا

هذه الآفاق تروي خبر التحنان عنكا

وهكذا يمضي فيفلسف حياته فلسفة مسيحية ترى ان العذاب وسيلة خلاص وسمو روحي، مناقضا رؤى أبي ماضي الشاكة، إلى نهاية القصيدة.

والشعراء الثلاث (متوسطو القامة) فنيا، فأما يوسف أمين قصير فهو من تلاميذ شعراء عصر النهضة (الكلاسيكة الجديدة) متأثر برياح الرومانتيكية تأثرا بسيطا غير ناضج، ويبدو متي اسحق اكثر استيعابا لمضامين الرومانتيكية واكثر تأثرا بأساليبها واخيلتها، أما بولس بهنام فهو اقرب في (نظمه) إلى الالتزام بالعقيدة المسيحية، يتراوح في مطولة بين العقل والعاطفة الدينية، بين الشعر والنظم. وربما كان إلى النظم اقرب. والشعراء الثلاثة منسجمون فيما نظموا مع عقيدتهم المسيحية.

---

(٩١) لسان المشرق، تشرين الأول ١٩٤٩.

خـاتمـــة

كشف البحث أنماطا من الشعر الديني لدى الشعراء المواصلة توزعت على محاور:

فالمبحث الأول مثلته القصيدة الصوفية (مديحة نبوية وغير نبوية ، وغزلا وتنزيلات) تراوحت بين مستويين فنيين ارتقى أحدهما إلى ذرى الفن الصوفي في نماذجه المتقدمة، موظفا رموزه وبلاغته، متمثلا في شعر احمد بن مجمود الفخري، وتدنى الآخر شكلا، وان حافظ على المضامين الصوفية المعهودة (متمثلا بشعر كل من شريف الموصلي وحامد الراوي) وبذلك اظهر البحث ان المقولة التي تسم هذا اللون من الشعر بالهبوط غير دقيقة، لأنه الشاعر الموهوب يتمكن من أن يطبع الأشكال (التقليدية) بطابعه، وان يطوعها لإنجازه الشعري،.

وان المبحث الثاني: فتجسد في لونين من ألوان مديح النبي صلى الله عليه وسلم، أولهما هو القصيدة النبوية التقليدية التي استنسخت مَا ورثته من قصائد المداحين الدينيين منذ البوصيري بلغة أدنى وفن اكثر هبوطا، وثانيهما هو القصيدة الإصلاحية (النقدية) التي ارتقى عدد من قصائد شعرائها إلى مستوى الجيد من شعر عصر النهضة، تمثل ذلك في عدد من قصائد محمد حبيب العبيدي ومحمود الملاح، وفي القليل من مقاطع قصائد فاضل الصيدلي الذي حاول فيها الاقتراب من فنها مخالفه النجاح- وان كان النجاح غريمه أحيانا- وظل ذو النون الشهاب وعبدالعزيز الجادرجي في منطقة وسطى بين ورثة عصر النهضة والانتماء إلى الموجة الرومانتيكية فلم يحققا إنجازا مهما لا على هذا الصعيد ولا على ذاك، وقد ارتفعت حدة نبرة عدد من الشعراء ناقدين، محدثين المفارقة بين الحاضر والماضي على وفق مفاهيم دينية، كان المفهومان الإسلامي والقومي يتكاملان فيها ويتطابقان

لدى معظم الشعراء واستكمل المبحث (المبحث الثاني) بمحور عن القيم الدينية في القصائد الأخرى التي لا تحمل عنوانا دينيا. فظهر ان معظم القصائد على اختلاف موضوعاتها (لا سيما القصائد السياسية والاجتماعية والتأملية) تحتوي على مقاطع تعبر عن مفاهيم دينية، بدا ذلك واضحا عند محمود الملاح، وظهر طاغيا عند محمد حبيب العبيدي وفاضل الصيدلي، وكان لابد من وقفة بين يدي بعض القصائد، أو لمسات تحليلية نقدية سريعة لمقاطع أو قصائد أخرى، مثلت منازع الشعراء وألوان اهتماماتهم.

وكان لابد لاستكمال خارطة الشعر الديني لدى الشعراء المواصلة من وقفة عند المشهد الديني المسيحي أمام ثلاثة من شعرائه الذين بدوا (متوسطي القامة) هم يوسف أمين قصير تلميذ عصر النهضة، ومتي اسحق الرومانتيكي وبولس بهنام رجل الدين الذي يدافع بنظم الشعر عن عقيدته.